(معنى الحضارة والمدنية والثقافة)

يطلق العرب على لفظة الحضارة (التمدن) او (التمدين)[1] اي المقيمون بالمدن، وهذه اللفظة تطابق الكلمة اللاتينية Civis (التمدن) ومنها اشتقت الكلمات الاوربية الحديثة الدالة على الحضارة مثل الكلمة الفرنسية civisation، والكلمة الانكليزية Civilization والالمانية Zivlisation[2] يقابلها على الضد منها مصطلح (البداوة) الذي يعني التنقل وعدم الاستقرار.

معنى الحضارة:

لقد عرف العرب من قديم الزمان المقابلة بين معنى الحضارة ومعنى البداوة وهي مقابلة بين الاستقرار والتنقل فيوصف اهل الحضر (سكان المدن) بأنهم (اهل المدر) او (اهل الحجر) لانهم يسكنون بيوتاً مبنية من الطين والحجر، خلافاً (لاهل الوبر) الذين يسكنون بيوتاً من وبر الابل او شعر الماعز او صوف الغنم[3]. فهنا يأتي معنى الحضارة خلاف البداوة وهذا التعريف لايعطي اكثر من المعنى اللغوي العام.

ويرى ابن خلدون في مقدمته أن الفرق بين التحضر والبدواة هو الاجتماع الانساني والعمران فيقول: (...والاجتماع الانساني هو عمران العالم. وما يعرض

---

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٩٧، الفيروزابادي: القاموس المحيط جـ ٢ ص ٥٦٤.
(٢) ماجد: تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ص ١٠.
(٣) ابن منظور: لسان العرب جـ ٧ ص ١٣٣.

لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التأنس والتوحش ، والعصبيات ، واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض ، وما ينشأ عن ذلك من الملل والدول ومراتبها ، وما ينتحله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر مايحدث عن ذلك العمران بطبيعته من الاحوال)(١).

فالاجتماع الانساني ضروري ، وهو معنى العمران والمدنية وهو الحضارة ، وبذلك يربط بين الحضارة والملك اي بمعنى (الاستقرار والسيادة)(٢). وقرر ابن خلدون ان ثمة علاقة بين الملك والاستقرار وبين بناء المدن والامصار ، وان وجه الحضارة المشرق هو في بناء المدن.

تعريف الحضارة :

للحضارة تعريفات متعددة ، كل يعرفها حسب وجهة نظره لمفهوم الحضارة من نظرة الى الحياة المادية ، او التقدم العلمي ، او من الوجهة التاريخية . عرف بعضهم الحضارة بمعناها العام فقال (انها تراث وانتاج مشترك بين الامم المختلفة ، وان فضل كل امه انما يكون بقدر اسهامها في هذا التراث)(٣) في حين عرفها المفكر الفرنسي جورج باستيد بأنها (التدخل الانساني الايجابي لمواجهة ضرورات الطبيعة تجاوباً مع ارادة التحرر في الانسان ، وتحقيقاً لمزيد من اليسر في ارضاء حاجاته ورغباته ولانقاص العناء البشري) ويعرفها توينبي بأنها حصيلة عمل الانسان في الحقل الاجتماعي والمناقبي وهي حركة صاعدة وليس وقائع ثابتة وجامدة ، انها رحلة حياتية مستمرة)(٤). ويعرفها (البرت اشفينسر) (بأنها الحضارة) هي التقدم الروحي والمادي للافراد والجماهير على السواء)(٥). ويقول ايضاً ان الطابع الجوهري للحضارة لايتحدد بانجازاتها المادية بل باحتفاظ الافراد بالمثل العليا لكمال الانسان وتحسين الاحوال الاجتماعية والسياسية للشعوب وللانسانية في مجموعها ، وان يكون التفكير خاضعاً لهذه المثل بطريقة حية ثابتة(٦). ويتحدث ابو الاعلى المودودي عن الحضارة فيقول : (انما هي نظام

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٨٧١ طبع لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٧ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٨٧١ .

(٣) عبد الرحمن الحجي : حضارة الاسلام في الاندلس ـ دار الارشاد ـ بيروت ١٩٦٩ ص ٩ .

(٤) توينبي : الحقيقة الحضارية ص ١٢ ، ص ٢٨ ، محمد علي ضناوي : الحضارة بين التحدي والتعطيل ص ٥٢٤ .

(٥) البرت اشفينسر : فلسفة الحضارة ص ٣٤ ترجمة عبدالرحمن بدوي طبع وزارة الثقافة المصرية ١٩٦٣ .

(٦) المصدر السابق ص ١٠٧ .

متكامل يشمل كل ماللانسان من افكار وآراء واعمال واخلاق في حياتهم الفردية او العائلية او الاجتماعية او الاقتصادية او السياسية)[1]

فالسلوك الانساني هو الذي ينتج الحضارة لانه استجابة لتحد من ظروف الطبيعة يكون هو المثير والدافع والحافز للانسان كي يتغلب على مايواجهه لاشباع حاجاته ورغباته ، ومنافسة الانسان الآخر له على ذلك ، ثم مايكون من قصور بيئته المادية عن تلبية هذه الحاجات والرغبات ، وهكذا تكون الحضارة ثمرة تحدي الانسان لبيئته ونوع استجابته لها ، ومن هنا يمكن القول ان الانسان قادر على صنع الحضارة بما انعم الله عليه بالعقل والارادة والعمل ، ولذا فلكل جماعة انسانية حضارتها المتميزة التي صنعتها ، وانتقلت من جيل الى آخر على اختلاف بيئاتهم الطبيعية . لذلك لانعرف جماعة انسانية بلا حضارة[2] ، فالبدو مثلا ليسو خلواً من الحضارة ، وهم في بلاد العرب قبل الاسلام كانت لهم نظمهم الدينية والسياسية والاجتماعية وعرفهم وتقاليدهم وقيمهم الخلقية ، فكان لهم شعر ومثل وقصص وحكم فيها تأمل وتخيل يدلان على قدرة عقلية ، فكانت لهم خبرات عن النجوم والرياح والمطر بنيت على الملاحظة والاستقراء .

فالحضارة جامعة لمختلف جوانب النشاط المادي والفكري (الثقافي) وهي تلبي حاجات الانسان المختلفة ، وللحضارة خاصية (الاستمرار) والنماء والبقاء ، كما لها خاصية الانتشار في الجماعة الواحدة وبين الجماعات المتعددة ، وعلى هذا فأن لكل جماعة انسانية حضارة والفارق الوحيد بين الحضارات مستويات الافكار والقيم ذالها[3] .

تسميات الحضارة :

تقترن بكلمة الحضارة تسمية (العربية) او (الاسلامية) او كليهما معاً (العربية والاسلامية) كوصف للحضارة و لاريب ان استخدام لفظة (الحضارة العربية) انما يشير الى دور العرب القيادي ونهوضهم برسالة الاسلام ، وغلبت على الحضارة صبغة لغة القرآن (العربية) وثقافتها ، وجمعت في نظامها مسلمين واهل ذمة يتكلمون جميعاً العربية والتي كان لنجاحها في الانتشار وقبول المسلمين من غير العرب لها واحلالها الصدارة في السنتهم حتى كادت العربية تقضي على اللغات المحلية الخاصة ،

---

(١) ابو الاعلى المودودي : الحضارة الاسلامية اسسها ومبادؤها ص ٢٨٨ .

(٢) ضناوي : الحضارة الاسلامية ص ٥٢٥ (المجلد الاول الاسلام والحضارة ـ الرياض ١٩٨١) .

(٣) محمد علي ضناوي : المصدر السابق ص ٥٢٧ .